The Status of Ladies of Saturn Employment of Sufi Heritage in the Novel " of Ladies of Saturn "

Asst. Dr. Ishrq Sami
Center for Studies of Basra and Gulf

Abstract

The novel of Saturn ladies tells about Baghdad city which Saturn passed through its sky and brought with him jinx and doom for thirty years, the beginning of the thirtieth war was with Iran in 1980,the writer functioned nebulous factors to narrate painful historical stages of Iraqi history full of tragedies and sorrows, which narrate (Heyat Albabily) her diary which is a diary of Baghdad through a group of female characters (Heyat, Hala ,Rawya ,and Luma),and characters of men embraced by dimension , absenteeism and indigence. The similarity of the city personality and overlapping grief and loss with the city's anguish create the most beautiful vagaries of Sufism in this novel taken more than one path adopted dropping chronological arrangement for the novel and evoked the dream and surprising to raise the largest possible number of potential tales.

مقامات سيدات زحل
توظيف التراث الصوفي في رواية سيدات زحل

م. د.إشراق سامي عبدالنبي
مركز دراسات البصرة والخليج العربي/جامعة البصرة

الملخص:

تحكي رواية سيدات زحل قصة عن مدينة بغداد التي مر في سمائها زحل فجلب معه النحس والشؤم لمدة ثلاثين عاما كانت بداية هذه الثلاثين مع حرب إيران ١٩٨٠.

وظفت الكاتبة عوالم سديمية لسرد مرحلة تاريخية مؤلمة من تاريخ عراقي مليء بالفواجع والأحزان تسرد رواية (حياة البابلي) مذكراتها التي هي مذكرات بغداد عبر مجموعة من الشخصيات النسوية (حياة ،هالة ، راوية ، لمى) وشخصيات لرجال يحضنهم البعد والغياب والنقص .

إن تماهي المدينة بالشخصية وتداخل حزنها وفقدانها معها مع لوعة المدينة خلق مجمل الشطحات الصوفية في هذه الرواية شطحات اتخذت أكثر من مسار اعتمد إسقاط الترتيب الكرنولجي للحكاية واستحضر الحلم والدهشة لاستثارة أكبر عدد ممكن من الحكايات الكامنة .

المقدمة:

سيدات زحل هي رواية للأديبة العراقية لطفية الدليمي صدرت عام ٢٠٠٩ وتعد أحدث روايات الكاتبة ، شكلت هذه الرواية امتيازا أضاف لذخيرة لطفية الدليمي الأدبي باعتبارها علامة سردية فارقة في تاريخ الرواية العراقية وظفت فيها الكاتبة أساليب الكتابة الجديدة من لغة روائية شعرية إلى استنطاق للموروث ومنه التراث الصوفي الذي بدا واضحا ومهيمنا على نسيج الرواية وسردها.

حاول البحث التركيز على هذه الناحية في الرواية ومتابعة مداها من خلال مدخل نظري ومبحثين هما:

الأول توظيف التراث الصوفي لمبررات فنية

الثاني توظيف التراث الصوفي لمبررات دلالية

اهتمت لطفية في أغلب كتاباتها بغنى التراث الصوفي وثرائه 'لأنه يحفل بإمكانات فنية ومعطيات ونماذج تستطيع أن تمنح النص المعاصر طاقات تعبيرية لها من القدرة على الإيحاء والتأثير في الوجدان ، وقد خدم هذا الاهتمام رواية سيدات زحل لأنها تتعرض لحقبة حرجة وحساسة زمن مدينة اسمها بغداد.

مقامات سيدات زحل

توظيف التراث الصوفي في سيدات زحل

كثيرة هي الفواجع التي تمنى بها المدن ، وبغداد مدينة مر في سمائها زحل فجلب معه النحس والشؤم لمدة ثلاثين عاما كانت بداية هذه الثلاثين مع حرب إيران ١٩٨٠.

تتخذ رواية سيدات زحل للكاتبة لطفية من الساردة (حياة البابلي) بطلة توثق مرحلة تاريخية مؤلمة من تاريخ عراقي مليء بالفواجع والأحزان ، تسرد الراوية مذكراتها التي هي مذكرات بغداد عبر مجموعة من الشخصيات النسوية (حياة ،هالة ،راوية ، لمى) وشخصيات لرجال يحضنهم البعد والغياب والنقص .

يعتمد هذا التوثيق على رؤيا خاصة تقوم على مزج الذاتي بالعام موشى بمجموعة من الحكايات تنتظم داخل فضاء واحد هو العراق ، منتقلة بين أزمان متعددة وشخصيات لكل منها طابعه الخاص ، لكن الجامع لهذه الحكايات هو وقوعها داخل أفق واحد هو أفق الخسارة في بلاد لم تعرف الاستقرار منذ حل زحل في سمائها.

"البدايات في كل أساطير الخلق تعتمد الحكي أداة للكشف عن التحول من السديمية والعماء المطلق ، إلى ما يخبر عن حالات الوجود الإنساني المشخص ، ولقد ارتبط السرد في كثير من مخلفات التراث الإنساني الشفهي والمكتوب على حد سواء بالرغبة في استعادة لحظة من لحظات الخلق "[١]

لا شيء يضاهي قدرة السرد على اكتشاف اللحظة وامتلاك الزمن زمن الحب أو زمن الأوجاع إنه يخلد التفاعل الإنساني مع الأقدار ويمنحه بعدا أزليا .

تجعل (حياة البابلي) من السرداب ملاذا لها تختبئ فيه من ألوان القتل والفتك الذي عم مدينتها وتبحث داخله عن طاقة سحرية تصل لها من أصوات أهلها الموتى ، فهي تجد بعض أوراقهم أو قصاصات تشير إليهم .

تبدو الوحدة هنا في السرداب وان كانت اضطرارية لكنها تجربة روحية تتداخل فيها مقامات الصوفية فهي تعتزل الناس وتترك نفسها صافية تطير حيث تشعر لاغية الزمان والمكان لاشي يخضع لقوانين الحياة المعتادة انه سفر وترحال في وجع المدينة تدخل في تاريخها وتستنشق نفحات روحها عبر التاريخ ، لتروي قصص الناس البسطاء.

تتحدث الرواية عن امرأة تعيش في بغداد تبلغ من العمر أربعين عاما عاشت زمن حرب عام ٢٠٠٣ وسقوط بغداد ، تروي في البداية أنها لا تذكر اسمها بالضبط فهي تحمل جوازا يشير إلى أنها آسيا كنعان "أأنا حياة البابلي ، أم إنني أخرى ؟؟ ومن تكون آسيا كنعان التي أحمل جوازها"[٢].

تعد هذه البداية منطلقا لاستعادة لحظة الحكي وتدويرها بخطـــــاب صوفي يتواشج فيه

"دونت أكثر من ثلاثين كراسة طوال كارثة الحصار وحرب الاحتلال ، وكنت كلما أنهيت واحدة منها وعدت إليها أفاجأ باختفاء الأسماء ، فتختلط الأحداث تمحي أسماءنا جميعا وتصبح الحكايات منسوبة للجميع فأعيد تدوين الأسماء لتختفي مرات ومرات حتى يئست من محاولاتي "(٣)

تعد هذه البداية منطلقا لاستعادة لحظة الحكي وتدويرها بخطاب صوفي يتواشج فيه المرئي والمحسوس بالمتخيل والحلمي ...فالوقائع المسرودة تشير إلى زمن ضبابي محكوم بماض ومرتبط بشخصيات عامة ، فهي خالية من الحبكة التي تصعد التوتر إلى درجة معينة ثم تأخذ بالانفتاح تدريجيا لأنها مجموعة من الأحداث تشكل لوحة فيسفسائية متكاملة إذ ترتبط ببعضها بطريقة تجعل الصورة غير واضحة إلا عند النهاية الكاملة ، ولذلك لا يمكن النظر إلى الرواية بوصفها سيرورة حدثية ومن هنا تأتي أهمية الخطاب الصوفي ، أو إمكانياته في توظيف إيحاءات ودلالات عميقة في الرواية، فهو يطرح بديلاً عن الموجود والقائم والواقع المعاش ولما كان الواقعي –كما تصوره الرواية– يتصف بالقتامة ، ويشيع فيه الظلم فإن طرح الصوفي بديلاً عنه يعني استبدال العرفانية وما تمثل من تعرية الاستبداد، وفضح ممارساته القمعية بالموجود والقائم " (٤).

إن تماهي المدينة بالشخصية وتداخل حزن وفقدان (حياة البابلي) مع لوعة المدينة خلق مجمل الشطحات الصوفية في هذه الرواية شطحات اتخذت أكثر من مسار اعتمد إسقاط الترتيب الكرنولجي للحكاية واستحضر الحلم والدهشة لاستثارة أكبر عدد ممكن من الحكايات الكامنة ...إذن المدينة هنا تدخل مع الشخصية في

يرى جان أيف تاديه أن المدينة الروائية قبل كل شي عالم من الكلام ، سواء أكانت انعكاسا أم انزياحا ، وينبغي معالجتها كفضاء أبدعته الكلمات (٥)، بغداد في رواية سيدات زحل مدينة لها مرجعية واقعية فهي محددة ضمن نطاق جغرافي معروف والرواية أيضا تشير إلى أنها تكتب عن بغداد التي مر في سمواتها طالع زحل الذي جلب معه النحس لمدة ثلاثين عاما كان أولها الحرب مع إيران ... وهنا ثمة إطار زمني ويبدو واضحا ومنسجما مع سياق

الرواية الذي يحتل رثاء المدينة فيه محورا ترتبط فيه جميع الحكايات " ورثاء المدن هي ثيمة رومانسية فيها من الحنين قدر مرتبط بأزمنة سياسية مأزومة " (٦)

عبرت عن هذا الحنين عبر التماهي بأزمنة متداخلة وعبر الحلول والامتزاج مع الشخصيات في الرواية .وقد استخدم السرد المزاوجة بين صورتين صورة المدينة المنكوبة وصورة الشخصية الروائية (حياة البابلي) عبر امتدادات سردية لوصف الفضاء اعتمادا على نسج خيالي ورمزي يتداخل فيه الواقع الموحش للمدينة (بغداد) وهي تعبر عن أزمان أوجاعها لتصل إلى لحظة (التيه) أو التشظي في أزمان عديدة وأجساد عديدة :

"المدينة حلت في أحشائي وتناهت إلي نبضات جنين غارق في مياهي وأنا أتلوى في ألمي وموجة تخبط في خاصرتي وكتلة تندفع نحو سرتي وتمزق جدران رحمي فأنزلق في غيبوبة الوجع القاسي لا أفيق إلا وبغداد قد قطعت أوصالها وشقت أحشاؤها ومن أشلائها صنعوا أقاليم الجنون ومن عينيها جرت أنهار الدم والدموع مثل ربة القمر المالح أمنا تيامات السومرية "(٧).

لم تتعامل الرواية مع المدينة بوصفها فضاء روائيا وكيانا طوبغرافيا بقدر ما كانت تتفاعل معها باعتبارها مركز العالم وبؤرة التصورات للحكي والتخييل لبلورة صيغ مختلفة لحديث ميتا تخييلي حول المدينة وأمكنتها المتناسلة ، من شوارع وميادين وأحياء ودروب ، وككيان مشروع عن أسئلة الذات والمجتمع والكينونة والوجود ومفتوح على إعادة إنتاج قيم وأفكار وسلوكيات جديدة في المدينة ، ثقافية وسياسية واجتماعية عبر استحضار للحظات تاريخية مهمة مرت على بغداد تتساق وراء البعد التخييلي مرة وتعود تارة أخرى لتوثق للمشاعر الإنسانية ضمن إطارات زمنية متهشمة وهو ما جعل الفضاء التخييلي والتعبيري العام للرواية مطبوعا بخاصية الحلم المصرح به أو المضمر.

تمتزج التجربة الصوفية مع الكتابة الأدبية وتلتقي معها في أكثر من تقاطع لكن الأهم هو صفاء العاطفة واللغة الرمزية العالية الإيحاء ...وان اختلفت رؤى كل من الصوفي والأديب العالم من حيث التوجه والمنطلقات والغاية إلا أن ثمة تشاركا محسوسا بين التجربتين يرتفع في بعض الأعمال الأدبية كما هو الأمر مع رواية سيدات زحل .

من حيث الإطار العام اعتمدت الرواية على العلاقة بين الإنسان والمكان ضمن لغة تتجه كثيرا نحو الواقعة السحرية والخلط بين ماله ظل من الواقع وبين ما ينسجه الخيال وبلغة الصوفية الساحرة التي تعبر عن مضمون إنساني عميق .

والتصوف هو منهج أو طريقة يسلكها العبد للوصول إلى الله أي الوصول إلى معرفته والعلم به ،انتشرت حركة التصوف الإسلامي في القرن الثالث الهجري كنزعات فردية تدعو إلى الزهد وشدة العبادة ، حتى صارت طرقا مميزة متنوعة معروفة باسم الطرق الصوفية .

سعت الروائية لطفية الدليمي إلى استعمال التصوف وتوظيف مرجعياته المعرفية في خدمة النص ، توظيفا لا يجهل روح التاريخ وأبعاد التجربة الإنسانية بما تمتلكه من عمق وقدرة خلاقة أثبتتها عصور التراث ، وبأسلوب يشير إلى مهارة تطويع المصادر التراثية والمعرفية لخدمة التجربة الروائية للتعبير عن الرؤى المختلفة للحضارة والفهم لأسرار الحياة.

هدف هذا التوظيف المباشر للنص الصوفي في ثنايا الكتابة الروائية الجديدة إلى تعميق الرؤية الفلسفية التي تحبل بها الكتابة الجديدة عامة . فلئن كانت الرؤية العقلانية هي التي تنشر ظلالها على مختلف الإبداعات المعالجة لقضايا الواقع فإن اعتماد الحدس هو النبراس الموجه للكتابة الجديدة . من هنا نلمس كيف أن النصوص الروائية الجديدة تستدعي النص الصوفي ليكون بمثابة سراج موجه لقراءتها.

ولدت اللغة الروائية عند لطفية الدليمي في سيدات زحل صورا جانحة نحو العوالم السديمية التي عبر عنها الصوفيون برؤاهم فقد كان الهيكل السيميائي لها ينساب باتجاه مفهومين للتصوف الأول هو التمسك بالهوية باعتباره تراثا محليا والمفهوم الثاني هو النجاة بالحب الذي صورته الرواية بصور شتى ، فقد وظفت بها كلمة الحب ، وما تولد وتعالق معها من مفاهيم ، باعتباره "فناء الذات أو الأنا وبقاء الأنت ، أي تهب كلك من أحببت فلا يبقى شيء.."[٨]

توظيف كلمة الحب وما تولد وتعالق معها من مفاهيم ، تجعلنا إزاء حقيقة المحبة لدى الصوفية . فهم يفهمون الحب باعتباره "فناء الذات أو الأنا وبقاء الأنت ، أي تهب كلك من أحببت فلا يبقى شيء.."i

إن الحب هنا يتجاوز الحالة الوجدانية ليطال مجال الإدراك . وإذا علمنا أن هذا الاعتراف ورد في سياق هذياني ، يمكن أن نؤكد بعده الصوفي ، لأن الحقيقة تتكشف لحظة الحلول/الهذيان . كما نجد

ذات الصورة : " أفيق من نوم سباتي وأنا في السرداب ، خالية الوفاض إلا من الحب ، اغتسل بشيء من الموسيقى ، أقلب فكرتي الخاصة عن الحب أن تحب يعني أن تكون شجاعا لتنجو من كل عقدة وعقيدة أن تكون حرا كعاصفة ومتدفقا كشلال ، أن تحب يعني أن لا تلتفت إلى الوراء وتتقدم في المجازفة ، تنقذ روحك من التحلل في تفاهة التفاصيل اليومية ، لاشي أقدر من الحب على تحويل الحصى إلى ماس وزمرد ، الحب أن لا تتمسك بشئ سوى الحلم ."[٩]

كانت مدينة بغداد في الرواية هي المعشوقة التي يسعى إليها الحس والروح والوجدان وتقف عندها الحقيقة ويضاء الكشف وتفتح الأبواب للعارفين هي المدينة التي ترمز للعراق وشعبه وتتماهى مع الناس والوجوه والأقدار .

المبحث الأول

المبررات الفنية لتوظيف التراث الصوفي في رواية سيدات زحل.

الرواية نثر يعتمد السرد مادة للتعبير عن الرؤى والأفكار التي تصاغ ضمن عناصر الرواية وهي الحدث والشخصية والزمان والمكان وهذا هو متن الرواية أما خطابها فهو عادة طريقة الكاتب في صوغ الأفكار وعناصر السرد لتشكيل رؤية النص وبما أن " أساليب السرد حاولت قهر مبنى الحكاية ، أو بتعبير آخر حاولت تدمير المبنى التقليدي ، واستبدال علاقات التتابع المعروفة فيها بعلاقات تداخل وتكرار وأبقت على متنها "[١٠].فان ثمة تعويضا مفترضا يقوم على تقنيات سردية تعتمد الصدمة والإدهاش ، والاستعمال المغاير للغة . ويمكن البحث في جماليات توظيف التراث الصوفي في هذه الرواية عبر العناصر السردية لها الآتية :

١-**العتبة** : هي المدخل الذي يختاره الكاتب للموضوع وعادة ما يكون مختارات أدبية قصيدة أو نص نثري أو قول مأثور أو مثل شعبي أو أغنية ، تبدأ رواية سيدات زحل بهذا النص الاقتباس:" وقال لي لكل شي شجر، وشجر الحروف الأسماء فاذهب عن الأسماء تذهب عن المعاني ...وقال لي إذا ذهبت عن المعاني صلحت لمعرفتي " [١١].

العتبة جزء من النص لكنها تختلف عنه وتحاوره في نفس الوقت هي ليست من نفس نسيجه لكنها تضيف أفقا وإنارة للقراءة فتحاول أن توجه الذهن باتجاه ما .

يوجه النص الموازي فهم الرواية باتجاه الروح الصوفية ورموزها ، فالتصدير كان هنا لقول مقتبس من كاتب صوفي كبير هو النفري من كتابه موقف التذكرة وهو اقتباس يحيل القارئ إلى العوالم الصوفية فالعتبة هي نص مواز تتحدد وظيفته بإخبار "القارئ عن الجنس الأدبي والمتن المرجعي لهذا النص والكتابة المتعلقة بفترة معينة وكذا العلامات الثقافية التي تؤطر النص وتوجه دلالاته وبالتالي فهي تفتح أفق الانتظار "[١٢]والنص المقتبس يمثل لغة مرمزة عصية على التفسير وتحتاج إلى معرفة غير قليلة بأمور المتصوفة ومصطلحاتهم ...لكن نظرة عامة توضح ثنائية الأسماء والمعاني ، وهي تحيل إلى الظاهر والمضمر، وكما هو معروف فالصوفي في بحث دائم عن الجوهر عن كل معنى اسم فإن تاهت الأسماء عن المعاني صلحت المعرفة هنا حالة خاصة لا يصل إليها إلا العارفون الذين يصلون إلى مقام الكشف حيث يصل المريد إلى معرفة الحق .

سيدات زحل تقدم نفسها على أنها محاولة للفهم والمعرفة عبر العشق والمكابدة ...عشق المدينة والانتماء إلى الأرض ومكابدة المشقة والآلام للوصول إلى المعرفة والإجابة عن السؤال الذي ظل يتلون بين حروف الرواية : لماذا تلاحقنا الأقدار القاسية .إنه استلهام للتراث ومحاكاته تمسكا بالهوية الوطنية والدفاع عنها وقت الخراب والفوضى والأزمات .

ب . الشخصية

لقد حدد النقد البنيوي ثلاثة مصادر للمعلومات المقدمة عن الشخصية في الرواية ، وهي: ما يخبر به الراوي، وما تخبر به الشخصيات نفسها ، وما يستنتجه القارئ . اتخذت الرواية من حياة البابلي صوتا يسرد كل القصص والحكايات في سيدات زحل في الغالب اعتمادا على كراسات مكتوبة تتحدث فيها كل شخصية عن نفسها وتعد الشخصية" العمود الفقري في الرواية و الشريان الذي ينبض به قلبها؛ لأن الشخصية تصطنع اللغة و تثبت الحوار و تلامس الخلجات ، و تقوم بالأحداث و نموها و تصف المشاهد"[١٣] ذهب عدد من الباحثين إلى تعريف الشخصية بأنها "ذلك المفهوم أو ذلك الاصطلاح الذي يصف الفرد من حيث هو كل موحد مـــن الأساليب السلوكية والإدراكية المعقدة التنظيم التي تميزه عـــن

غيره مـــن الناس وبخاصة المواقف الاجتماعية"[١٤]، وتبدو أهمية هذا التعريف في كشفه عن مضمون الشخصيـــة وحدودها ووجودها ، وتفكيك عناصر بنائها.

وإذا كان مدار دراسة الشخصية يتحدد من خلال البيئة الاجتماعية ، وعلى العوامل الزمانية ، إضافة إلى العوامل النفسية والسلوكية ، فان الشخصية في رواية سيدات زحل اتخذت لها بعدا خاصا تمثل في اختزال أزمة شعب أو وطن في هذه الشخصيات التي تحدثت عنها الرواية الفقد والحرمان وسوء القدر كان القاسم المشترك لجميع الشخصيات النسائية مثل حياة وهالة ولمى وراوية ومنار أو الذكورية كالأب والأخوة وحامد الأخرس والعم قيدار ، وقد تمثلت الروح الصوفية في الشخصية اعتمادا على مسارين هما:

الأول : ما تقوله الشخصية أو تقوم به من سلوكيات تنسجم مع الفلسفة الصوفية .

الثاني : ذكر أسماء لشخصيات تاريخية معروفة بالتصوف وإدخالها بطريقة معينة ضمن النسيج اللغوي .

الأول:

"في دوار الحب وضجيج الحرب وتشويش الأشياء يتحكم بي التباس عنيد آخر يطاردني في الصحو والمنامات ...حياتي تقاذفتها رياح الحب والفقد وجموح المخيلة وارتباك الذاكرة كمثل مدينتي المهشمة ، عصفت بي وبها أعاصير الحروب والطواعين منذ ما يزيد على مائة وثمانين سنة فتبددنا بين ضجيج الخيول وهدير الدبابة وحادثات الغسق ونعيق الغربان وكيد الرجال ونحس طوالع النساء "[١٥].

كيف تتماهى هذه الشخصية مع المدينة وكيف تعيش في أزمان مختلفة وظروف شتى ؟ اعتمادا على التراث الصوفي الذي يزاوج بين الواقع والحلم وينتقل بين العوالم والأزمنة بالروح وبطاقاته النفسية الخاصة وعادة ما تسمى عندهم بالرحلة أو السفر ...وهي رحلة القلب أو البدن إلى المحبة الصافية والحقيقة المطلقة ، تشير في هذا المقطع الساردة وهي تصف وضعها بأن ثمة تشوشا للحواس والتباسا بين الصحو والمنامات وتشير الدراسات إلى أن "علة التلازم بين العجائبي ونصوص التراث الإسلامي هي وقوع كل منهما على حافة الحقيقة ، بين

الممكن والمستحيل ، أو بين الحقيقي وغير الحقيقي وفي نصوص التراث الإسلامي يبقى الحدث الخارق واقعا بين الممكن والمستحيل "[١٦].

تتخذ البطلة من السرداب المعزول تماما ملاذا ومهربا لها من الحرب ومكانا يرتبط بعمها الشيخ قيدار وهو شخصية عارفة مختفية تشبه صورة المهدي المنتظر أو الخضر [١٧]:

"هذا السرداب القابع تحت بيتنا كان مخبأ عمك أخي الشيخ قيدار حين لاحقوه بتهم تتعلق بالجمعية السرية التي أسسها ، كان سردابنا مذيعا لأحلامه وفتوحاته الروحانية ، وهو عاكف على تحقيق مخطوطات تتعلق بتاريخ بغداد "[١٨].

هذا ما نقله والد حياة البابلي لها منوها بأثر هذا السرداب وأهميته الروحانية ، خاصة أن العزلة سلوك اتخذه أصحاب التصوف توسلا بصفاء الروح وخلوها من هفوات التعامل مع البشر فلا شي يستحق الجهد والوقت سوى المحبوب :

"صرخ حامد وأشار إلى إحدى المرايا : التفت إلى حيث أشار فرأيتهم ينظرون إلينا من بين سحب الدخان وألسنة اللهب ، كلهم كانوا في قاع مرآة الرؤيا وبغداد تلوح من ورائهم بملامحها العباسية ومآذنها ونخيلها ونهرها وسط الحريق : أبي وأمي وشقيقي ماجد ومهند وزينة وعبد الله شقيق حامد وحيدر ابن خالتي ولمى ، كل الموتى الذين ابتلعتهم الحروب والمصائب ، لاحت لي عينا جدتي الشهلاوان تنظران إلي بعزم وكأنهما تشدان أزري ويداها تتضرعان بين سحب الدخان "[١٨].

السرداب مليء بالأسرار والوثائق وأصوات الموتى وصورهم المعكوسة في المرايا ، ترى البطلة موتاها وتسمع أصواتهم وتشعر بمؤازرتهم ودعمهم لها إنه أفق عجائبي يمنح القراءة أبعادا مغايرة تثير الدهشة وتستفز الذهن والخيال :

" وعلى الوجه الثاني للورقة قرأت :موقف التيه لعبد الجبار النفري :

أوقفني التيه فرأيت المحاج كلها تحت الأرض وقال لي ليس فوق الأرض محجة ورأيت الناس كلهم فوق الأرض والمحجات كلها فارغة ورأيت الناس من ينظر إلى السماء لا يبرح من فوق

الأرض ينزل إلى المحجة ويمشي فيها . وقال لي من لم يمش في المحجة لم يهتد إلي وقال لي قد عرفت مكاني فلا تدل علي ، فرأيته قد حجب كل شي وأوصل كل شي ...

انفتحت في داخلي وبتأثير وحدتي في الأعماق حياة الصمت الشاسعة التي تنبثق منها التساؤلات ،أهذه هي المحجة التي قال بها النفري ، أم هي الحياة الأبدية التي ترقد في أعماقها أرواحهم الهائمة وهذه الورقة أتكون وصية عمي قيدار "[١٩].

هذا ما تنقله الرواية عن ورقة وجدتها حياة البابلي في السرداب لعمها . ومثلها هذه الوصية التي أوصاها إياها :

"لا تأخذي كل قول على محمل الصدق فالألفاظ بها لبس والمعاني بها اشتباه والإلفة استوفت معاني المدركات وهي لغة جوهر الروح وصفو القلوب ، وأنا مرتاب لكل حرف ومؤداه مما يدعيه غير العارفين بالحق ، وأنا حاضر بينكم ومستعصم ببابه فان غبت فإلي عودة مني انحسر الجنون عن بغداد وإذا عدت فالمأوى تعرفونه ، وتستدلون على وسطانيته بمن أهوى وكل يعمل على شاكلته والسلام لهذي البلاد مني حيا وميتا " [٢٠].

يتضح الطابع الصوفي جليا في خطاب قيدار البابلي الموجه لحياة ، وثمة مفردات خاصة بأهل الفلسفة الصوفية ولها معانيها ومغزاها لديهم مثل (جوهر ،صفو ،مرتاب ،العرفين ،الحق ،حاضر ،غائب ،وسطانيته) فضلا عن الغموض الذي يلف الكلام فلا يتضح المراد منه إلا بالتأويل ، ويؤكد النقاد أن محاكاة الروح الصوفية في الرواية إنما هو أحد أهم التقنيات التي تلجأ إليها رواية الحساسية الجديدة[٢١] للتعبير عن الحياة ورؤاهم فيها اعتمادا على منطق الباطن وحقائقه وأبعاده .

ثانيا: وجود الإشارة إلى شخصيات ذات مرجعية تاريخية مرتبطة بالتصوف ، إذ تعد مدينة بغداد واحدة من أهم المدن الإسلامية التي احتضنت التراث الإسلامي الصوفي [٢٢] لذا فهي تضم عدة مراقد لشخصيات معروفة بالزهد والتصوف ومنهم الحلاج الذي يزور مقامه قيدار البابلي واصفا زيارته تلك بضمير الغائب :

" تشعل المرأة شمعتين لدى ضريح الحلاج والشيخ قيدار يردد في نفسه أبياتا لأبي المغيث :

حويت بكلي عن حبــك قدسي تكاشفــني حتـــى كأنـــك نفـــسي

أقلب قلبي في سواك فـلا أرى سوى وحشتي منـه ومنـك أنســي
فها أنا في حبس الحياة مجمع من الإنس فاقبضني إليك من الحبس

تدع المرأة الشيخ في خرسه ، الثلاثة متواطئون في صمتهم : الحلاج والمرأة والشيخ ، أدى الحلاج ثمن الجهر بما وجد جسدا مقطعا ورأسا يؤتى به إلى أم الخليفة المقتدر السيدة شغب فتعطره بالمسك والعنبر وتكفنه بالديباج وترسل من يدفنه في هذا الضريح بعيدا عن عيون ابنها وغيلانه" (٢٣).

استعاده تاريخ الحلاج وارثه البالغ الأثر في الثقافة الإسلامية يبدو منسجما مع إطار الشخصية (قيدار) المولعة بأمور الباطنية وأسرارها ، ثم يترك مقام الحلاج ليتحرك وبذات الاتجاه نحو شخصيات تاريخية معروفة أيضا في هذا المجال .

"فكرت أن أزور ضريح الشيخ معروف الكرخي أو ألم بضريح الجنيد الغدادي لكني عدلت خططي واتجهت إلى مشغل النحات أمير في أو حي المنصور ...واستقل سيارة أجرة إلى مرقد الشيخ عمر السهروردي ...أغادر بعد أن اطمأنت الروح في الطواف حول قبر الشيخ السهروردي الذي آزر قراري للرحيل والتجوال وزجني في تجربة من تجارب الكشوف والانشغال عن الظواهر بتجليات الروح" (٢٤)

إن العملية برمتها لا تخرج عن التواصل مع التراث ، واستنهاض المسكوت عنه به ، إنه في المختصر اتكاء ، لذا عندما ضاق هذا الأفق بما يريد الكاتب فإنه أوجد لنفسه النص التراثي الذي يريد ، فقد عمد إلى صوغ نصه التراثي الخاص ، لأنه بهذا يستطيع التخلص من أعباء التراث بالكامل ، فلا يعود ملزماً بالتاريخ ، أو سير الأحداث ، أو تركيبات الشخوص ، إنه يجد في نصه التراثي الخاص تواصله الذي يريد وبكل حرية.

ج ـ الزمان والمكان : أو ما يسمى بالفضاء الروائي وهو ما يتعلق بالبناء الفني للرواية باعتبار السرد عملية تخييل يخضع للزمان والمكان ...وقد تغيرت نسبيا في الرواية الحديثة طرق التعامل مع عنصر زمان الرواية ومكانها إذ هناك تهشيم للزمن فلم يعد يحتفظ بالترتيب

الكرنولوجي المنطقي له وإنما حاولت هذه النوعية من الكتابة تبني مفاهيم مختلفة عن الفضاء السردي المعتاد ، وربما من جملة التقنيات الحديثة في الرواية جاء توظيف التصوف بطريقة تسمح بالتحرك بحرية " فأسس البناء الزمني في الخطاب السردي : الزمن الشخصي أو الزمن التاريخي أو زمن الحدث قد تنهار أمام القوة الفاعلة الكامنة في السرد الصوفي ، حيث يستحيل الزمان براحا برزخيا متصلا مفارقا بخصائصه المطلقة لتقاويم الأزمنة المعروفة " (٢٥). في رواية سيدات زحل يقف الزمن عند لحظة واحدة تتجمد فيها الأوقات وتذوب كل الحكايات إنه زمن الموت والخراب أي صفة الزمن هي الأهم وهي صفة تتكرر في أزمان تاريخية مختلفة مرت على المدينة استحضرتها الرواية مستفيدة من روح التراث الصوفي باعتبار الزمن براحا برزخيا لا حدود منطقية له " اختلطت علي الأزمنة والتواريخ ، لقاؤنا الملتبس كان مفعما بغبار الجنون ، حسيا وصاعقا مضى ؟ لست متيقنة لست متأكدة وماذا يهم ؟ما الذي يعنيه الزمن لمن أنقذف خارج أفلاك التقاويم؟؟"(٢٦).

تبدأ الرواية بهذا التاريخ : بغداد نيسان ٢٠٠٨ .. ثم هوامش في أوراق بغداد ٢٠٠٣-٢٠٠٦. وصولا لأزمان مختلفة ماضية لكنها تشترك بذات الصفة : الخراب الذي يحل بالمدينة والألم الذي يتمكن من ناسها .

أما المكان فبالرغم من أن الحديث هنا عن بغداد إلا أن التشكيل السردي للمكان جاء منسجما مع الروح العامة التي تستوحي أثر المتصوفة ، فالأمكنة لها روح وكرامات لها أوجاع وأحلام وأصوات : وأهم الأمكنة التي ركزت عليها الرواية كان السرداب وهو مكان العزلة الصفاء والتوحد مع العشق والحب :

" أفيق من نوم سباتي في السرداب خالية الوفاض إلا من الحب ، اغتسل بشي من الموسيقى ، أقلب فكرتي الخاصة ، أن تحب يعني تكون شجاعا لتنجو من كل عقدة وعقيدة أن تكون حرا كعاصفة ومتدفقا كشلال ، أن تحب يعني أن لا تلتفت إلى الوراء وتتقدم في المجازفة تنقذ

روحك من التحلل في تفاهة التفاصيل اليومية ، لاشي أقدر من الحب على تحويل الحصى إلى ماس وزمرد الحب ألا تتمسك بشي سوى الحلم "[٢٧].

حالة العشق والحب الذي عنه الاقتباس هنا مرتبطة إلى حد كبير بالسراب والعزلة ...والسرداب هو الآخر مرتبط بأسرار العم عن بغداد مدينة التيه...والعشق والتوحد بين السرداب وبغداد هو التوحد بين العارف وعشقه .

وهي نفس الروح التي جسدت تماهي المدينة وحلولها بالعاشق ،حلول المشوق بالعاشق : "المدينة حلت في أحشائي وتناهت إلى نبضات جنين غارق في مياهي"[٢٨]

المبحث الثاني :الأثر الدلالي لتوظيف التراث الصوفي:

ينحاز هذا المبحث إلى التركيز باتجاه الجدوى الدلالية لتوظيف التراث الصوفي في رواية سيدات زحل ، إذ يشير أدونيس في سياق بحثه عن علاقة الشعر بالفكر إلى " أن نصوص الشعراء والمتصوفة تخترق النظم المعرفية وتنظيراتها حيث تحقق في بنيتها وفي رؤيتها علاقة عضوية بين الشعرية والفكرية وتفتح أمامنا بحدوسها واستبصاراتها أفقا جماليا جديدا وأفقا فكريا جديدا"[٢٩].

وهذا الأفق الفكري الذي يفتحه النص الصوفي في وجه النص المعاصر، هو انطلاقة نحو المجهول واللا مرئي بحثا عن المعرفة الحقيقية من خلال الحدس والرؤى والكشف وهذه عناصر انعكست على تجربة الإبداع بما يتجانس معها فاتسعت رؤيتها وضاقت عبارتها ليخرج نص ذو تقنية كتابية غريبة معقدة تحاول كشف الواقع وتعريته ، هذا الواقع الذي يتشكل بخصوصية الوضع في بغداد حيث تدور أحداث الرواية في ظل ثنائيات قاتمة مثل الموت/المنفى ،الماضي الأسود /الحاضر الكارثي الرجل الغائب /الأنثى المستباحة ...الخ من هذه الثنائيات التي تستغرق السرد وتذوب في تفاصيله ماهي الغاية التي تأملها الرواية من توظيف الروح الصوفية داخل النص ، مع الإشارة إلى أن طرق الكتابة التي يختارها الأديب هي مسألة خاصة به وليست خاضعة للتبرير إلا أن النقد والتحليل يحاول الإمساك بتلك التقنيات ويبررها ، ويمكن البحث عن الوظيفة الدلالية هنا من خلال نقطتين :

١ –التراث وسيلة للتمسك بالهوية

ولعل الدافع في ميل الشعراء المعاصرين إلى التصوف تحدوه دوافع سيكولوجية هو التشابه بين معاناة المتصوف والشاعر المعاصر وممارستهما الواعية . ويزكي هذا الرأي الدكتور إحسان عباس الذي يرى أن اتجاه الشعر الحديث إلى التصوف هو مستوى من القوة بما يجعله أبرز الاتجاهات السائدة فيه . وربما يكون اليأس الذي غلب على بعض الشعراء وخيبات الأمل التي أصابتهم في طموحاتهم الوطنية والتقدمية عاملاً غذى الاتجاه الصوفي في شعر الحداثة العربية وربما يكون هذا الاتجاه محاولة للتعويض عن العلاقات الروحية والصلات الحميمة التي فقدها الشاعر وتلطيفا من المادية الصلب الخشن .[٣٠]

يقترن أدب الاعتراف بالهوية سواء أكانت فردية أم جماعية ، فلا يمكن انتزاع الكاتب من الحاضنة الاجتماعية والثقافية التي يشتبك بها ، ذلك أن أدبه يقوم بمهمة تمثيلها ، وبيان موقعه فيها ، فلا يطرح موضوع الهوية إلا على خلفية مركبة من الأسئلة الشخصية والجماعية ، وتبادل المواقع فيما بينها ، فالكاتب منبثق من سياق ثقافي ، وتجد الإشكاليات المثارة كافة في مجتمعه درجة من الحضور في مدونته .[٣١]

تتحدث رواية سيدات زحل عن علاقة بين حياة البابلي وهي الابنة التي تمثل الحاضر وبين العم قيدار البابلي الذي يمثل الماضي/ التاريخ /المعرفة . ترتبط حياة بكراسات العم المجودة في السرداب وهو المكان الآمن الذي يجمع لها أصوات أهلها وصورهم وأسرارهم اعتمادا على كراريس دونوا فيها مذكراتهم ، هذا السرداب لا يزال يربط الابنة بخيط مجهول إلى عاطفة عميقة ضبابية الملامح فهي بين الحنين إلى الأهل والوطن وبين الشوق إلى تفاصيل الحياة بعيدا عن كوابيس الموت المعتادة الآن في بغداد :

" حياة حياة ..

كانت همسات متكسرة تنهمر من الهواء أو تنبثق من شقوق المرايا المتشكلة شبه خرائط دقيقة على سطوح الزجاج ..

تماسكت وجلست على الأريكة تناهت إلي ضحكات مرحة ،أحدهم قال :

حياة لا تخاف أعرفها هي التي ستروي حكاياتنا للناس حياة لساننا وصوتنا الباقي"[٣٢]

إذن حياة هي الصوت المعبر عن أهلها وهم الانتماء والهوية التي تحاول رسم ملامحها والتعرف عليها من خلال التعرف عليهم ومتابعة توصياتهم:

" لا تخافي فنحن معك _قال صوت كصوت أبي _هناك صندوق صغير على المنضدة افتحيه..

هل سمعت ذلك أم رأيت الصندوق وبلغتني الرسالة ؟؟"[٣٣].

"يعد الخطاب الهووي بحثا عن محددات الأنا /النحن /الهم ومكوناتها تمييزا وفصلا جوهريا يموضع الذات داخل نسق معياري "[٣٤].

اختارت هذه الرواية التمسك بهذه الروح للتعبير عن التمسك بهويتها ، باعتبار أن التصوف أحد أبرز أشكال الفلسفة الإسلامية وقد شغلت الناس في البلاد الإسلامية لمدة طويلة ومنحت ما تمتاز به من محمولات دلالية للفكر والسلوك في هذه البلدان ، ونزولا عند الفكرة التي تقول إن " انخراط الإنسان في القص هو سعي إلى التعرف على مناطق ملغزة في حياته بذات الأهمية حين تكشف عن مجالها المرئي والبسيط إلى الآخر الراهن لزوما أمامها" [٣٥] فإن الراوي في رواية سيدات زحل وهي البطلة حياة البابلي تحاول إعادة تشكيل هويتها وفق مروياتها ، فهي قادرة على إنشاء قصص تراها مكونا أساسيا لهويتها دون أن تكون فعلا معاشا بنحوها الواقعي فالحياة تعاش والقصص تروى لذا كانت مجموعة الكراريس التي تناولت قصصا في مجمله تدور في بغداد :

كراسة بيت النساء

كراسة بريسكا برنار

كراسة حامد أبو الطيور

كراسة بهيجة التميمي

كراسة مهند البابلي

كراسة غراب قابيل

في وقت الأزمات، وبعد الانكسارات، وعند المنعطفات التاريخية الحاسمة، تظهر تيارات فكرية ، هدفها البحث عن الذات ومراجعة ما حدث ، بقصد إعادة تأهيل الأمة، لمواجهة المصير بكفاءة عالية وكفاية مناسبة. وغالباً ما يتم التركيز على المشتركات التي توحد الأمة وتجسد إمكاناتها ..

فبعد سقوط بغداد وانهيارها ودخول القوات الأمريكية كقوات عسكرية محتلة إلى العراق كانت لرواية سيدات زحل وجهة نظر وصوت يربط الحاضر بالماضي ويفتش عن الوجوه والأصوات التي يعرفها وسط الضجيج وفقدان القدرة على التمييز . ولاشك أن التراث الفكري وسيلة قادرة على التذكير بالهوية وبعثها وسط الخراب ، والتصوف فلسفة حياة تهدف إلى الرقي بالنفس الإنسانية أخلاقيًا ، وتتحقق بواسطته رياضيات عملية معنية تؤدي إلى الشعور في بعض الأحيان بالفناء في الحقيقة الأسمى، والعرفان بها ذوقًا لا عقلاً، وثمرتها السعادة الروحية ، ويصعب التعبير عن حقائقها بألفاظ اللغة العادية ؛ لأنها وجدانية الطباع ذاتية.

"الرؤية معدومة في ضباب الموت ودخان الحرب ، الوعي مرتبك في ارتعاش الجسد أو حين رجة الانفجار ، لا شي حقيقي سوى الفجر الذي ينهمر بغتة على المدينة ، يترع جسدي بالنور قبل الشروق ، فأراه معي أرانا مختبئين من رصاص القتلة في غيضة نخل "[٣٦].

"لبثت أحرس الصمت وكراسات الغائبين وقصص البنات ، متشبثة بيقين حبي وانتظاري لناجي الحجالي وآمل ظهور عمي قيدار ، عاكفة على عملي في كتاب بغداد الذي جمع بيننا ، كم هو الحب عجيب وصاعق إذ يباغتنا في زمن ما عدنا نؤمن معه بمعجزة أو شفاء ، ولا نثق بتجليات الهوى أو أناشيد الغرام ، لو كان الحب سهلا لحصل عليه جميع الناس في أي وقت "[٣٧].

تعرف الهوية بانتماء كل فرد إلى عائلته ، طائفته ،الطبقة الاجتماعية التي ينتمي إليها وبنو جلدته كوجود سابق عن وجوده يحفظ له مكانه ويخصه بمرتبة داخل النظام الاجتماعي التحليلي والواقعي" هكذا يكون للسرد فضيلة الجمع والتحريك لهذه المكونات في نسيج تشابكي على نحو تأويلي استدلالي فبنائي فلا تتحقق الهوية إلا بالتأليف السردي حيث يتشكل الفرد

والجماعة معا في هويتهما من خلال الاستغراق في السرديات والحكايات التي تصير بالنسبة إليهما بمثابة تأريخهما الفعلي"[٣٨].

كل أشيائهم وروائحهم وأصداء أصواتهم هناك ، لاتخافي هي أصوات أهلك ،حتى صوتي ستجدينه هناك بعد رحيلي ، ستؤنسك أصواتنا يا حياة الصمت مخيف في وحشة السراديب"[٣٩].

ويتضح من هذا أن التصوف تجربة ذوقية خاصة ليس للعقل دخل فيها ؛ ولذا لا يقبل أصحابها الحكم عليها بالفلسفة والعقل ، فإنه يحق للصوفية أن يعترضوا على كل من يحاول أن يَزِن تجاربهم وتعبيراتهم بميزان العقل ؛ لأن العقل وقوانينه مشترك بين الناس جميعًا، أما التجارب الصوفية فلا تخص غيرهم .

٢- الرؤية الأنثوية للعالم :

إذا كان التوظيف للتراث الصوفي في الرواية هو أحد وسائل الأدباء للاقتراب من رؤيا العالم اعتمادا على التجربة الروحية والوجدانية والحدس فان الاحتفاء بتفاصيل انعكاس العالم في مرايا المشاعر الذاتية للأديب تبدو ميزة قريبة من الكتابة النسوية ..

"وقد ربط الفكر النسوي بين الذكورة باعتبارها مفهوما ثقافيا واجتماعيا وبين الرغبة في الهيمنة على الآخرين "[٤٠] تتناول رواية سيدات زحل نساء عشن في ظل إرهاب وقتل واغتصاب تثير تفاصيله الذاكرة نحو أزمان مختلفة عاشت فيها الأنثى دائما مسلوبة الإرادة والقدرة على الحياة السوية ، ثمة معادلة معطوبة دائما تجعل النساء في هذه الرواية يعانين ذكورة مفقودة أو ناقصة: "كل الذين عادوا من الموت كانوا موتى بشكل أو بآخر ، كنت أسمع همس النساء في المآتم والأفراح عن عطب الرجال العائدين من الحرب وعجزهم ، لم أصدق حتى تزوجني حازم وأيقنت أن لعنة الحرب لم تخطئ أحدا منهم .."[٤١].

يمكن وصف نمطين مجردين من أنماط السلوك الإنساني هما الإيروس وهو مبدأ الترابطية الأنثوي واللوغوس وهو مبدأ الاهتمام الموضوعي الذكوري ،فالايروس واللوغوس وهو مبدأ الاهتمام الموضوعي الذكوري ، وقد ربط الايروس بالصفات التالية :العاطفية والجمالية والروحانية ، إضفاء القيمة عن طريق الشعور ،الدهاء والتوق إلى الترابط وإلى القيمة .

التشابه القائم بين التجربتين الأدبية والصوفية من حيث الرغبة في الإتحاد بالكون والارتباط بالوجود . وهو ما يجعل الصوفي الأديب في حاجة إلى طبيعة بعضهما البعض. فالمتصوف يحتاج الأدب أن يعبّر عن أحواله وتجربته الإلهية والأديب يستمد من التصوف مادة لأدبه.

ومن جانب آخر هناك أكثر من تقاطع بين السرد والأنثى والتصوف باعتباره تراثا مرتبطا بتاريخ تراه الأنثى بعيون مختلفة وتعبر عنه بلغة شعرية عالية :

" وعمي الشيخ قيدار ؟؟ لماذا يختفي رجال أسرتنا واحدا بعد الآخر ؟؟

أين أنتم ؟ أركض كمخبولة وأدق مطارق الأبواب العتيقة المتطامنة تحت الشناشيل وأسال النساء :هل رأيتن الشيخ قيدار؟؟

تفتح لي نساء مرعوبات أبواب بيوت غارقة في العتمة تهب منها روائح الورد وعبير القرنفل والبنات ناعسات لهن أذرع بضة وظفائر مربوطة بجلاجل من ذهب وفضة ، ينسمن بمراوح سعف لرجال نائمين أضنتهم الحروب والقيض واستنفذنهم المتع ..

من رأى قيدار قيدار لم يمت لكنه رهن الغياب اختاره مرغما ، لا أحد يهتم بلوعتي ، ما يهم الآخرين من اختفاء أهلي ؟؟؟"(٤٣)

من هو قيدار المختفي ولماذا تبحث عنه هذه المرأة بكل هذه اللهفة هل هو المخلص كما تتحدث عنه الحكايات الشعبية والتراث الديني؟ الخضر مثلا إحدى هذه الشخصيات المخلصة في التراث الصوفي . الوجوه المتعددة للنساء في الرواية إنما تعبر عن نمط نسوي واحد فحياة المرأة المتعلمة متعلقة بانتظار لا ينتهي انتظار للخلاص والفرج مع عمها الغائب وعنده المعرفة واليقين المعرفة بطالع بغداد واليقين بالنجاة .

عرضت الرواية مصائر الشخصيات فيها عبر رؤية سردية أنثوية عبرت عنها حياة البابلي لتصف رحلة الروح نحو شغفها بالحياة .

لقد نظر إلى التراث الصوفي على أنه كيان له أبعاده الفكرية والإنسانية وأحس أن عليه أن يعي هذا التراث ويتفهمه ويدركه من خلال الإحساس بالمعنى الإنساني فيه أو ما عبر عنه بقوله" استكناه الباطن الإنساني وذلك استوجب قراءة ذلك التراث من زاوية معاصرة يربط فيها

الماضي بالحاضر،لاستيعاب الوجدان الإنساني من خلال حضارة العصر وتحديد موقفه الشعري منه كإنسان معاصر.

- حياة ؟ ما لذي أتى بك إلى هنا
- أنت أنت من جعل حياتي طريقا ممتدا بلا نهاية لماذا اختفيت
- لم اختف ها أنا أمامك الم تريني
- بغداد ،لماذا غادرت بغداد
- لم أغادرها إلنا فيها وهي في ...تعالي اجلسي هنا "[٤٤]

الخاتمة:

تحكي رواية سيدات زحل قصة عن مدينة بغداد التي مر في سمائها زحل فجلب معه النحس والشؤم لمدة ثلاثين عاما كانت بداية هذه الثلاثين مع حرب إيران ١٩٨٠.،
وظفت الكاتبة عوالم سديمية لسرد مرحلة تاريخية مؤلمة من تاريخ عراقي مليء بالفواجع والإحزان تسرد رواية (حياة البابلي) مذكراتها التي هي مذكرات بغداد عبر مجموعة من الشخصيات النسوية (حياة ،هالة ،راوية ، لمى) وشخصيات لرجال يحضنهم البعد والغياب والنقص.

إن تماهي المدينة بالشخصية وتداخل حزنها وفقدانها معها مع لوعة المدينة خلق مجمل الشطحات الصوفية في هذه الرواية شطحات اتخذت أكثر من مسار اعتمد إسقاط الترتيب الكرنولجي للحكاية واستحضر الحلم والدهشة لاستثارة اكبر عدد ممكن من الحكايات الكامنة.

كانت مدينة بغداد في الرواية هي المعشوقة التي يسعى إليها الحس والروح والوجدان وتقف عندها الحقيقة ويضاء الكشف وتفتح الأبواب للعارفين هي المدينة التي ترمز للعراق وشعبه وتتماهى مع الناس والوجوه والأقدار .

في رواية سيدات زحل يقف الزمن عند لحظة واحدة تتجمد فيها الأوقات وتذوب كل الحكايات انه زمن الموت والخراب أي صفة الزمن هي الأهم وهي صفة تتكرر في أزمان

تاريخية مختلفة مرت على المدينة استحضرتها الرواية مستفيدة من روح التراث الصوفي باعتبار الزمن براحا برزخيا لا حدود منطقية له "

وهذا الأفق الفكري الذي يفتحه النص الصوفي في وجه النص ا المعاصر،هو انطلاقة نحو المجهول واللا مرئي بحثا عن المعرفة الحقيقية من خلال الحدس والرؤى والكشف'وهذه عناصر انعكست على تجربة الإبداع بما يتجانس معها'فاتسعت رؤيتها وضاقت عبارتها ليخرج نصا ذا تقنية كتابية غريبة معقدة تحاول كشف الواقع وتعريته، هذا الواقع الذي يتشكل بخصوصية الوضع في بغداد حيث تدور أحداث.

التوظيف للتراث الصوفي في الرواية هو احد وسائل الكاتبة للاقتراب من رؤيا العالم اعتمادا على التجربة الروحية والوجدانية والحدس فان الاحتفاء بتفاصيل انعكاس العالم في مرايا المشاعر الذاتية للأديب تبدو ميزة قريبة من الكتابة النسوية .

هوامش البحث

(١) السرد الروائي وتجربة المعنى ،سعيد بنكراد ،المركز الثقافي العربي ،ط١٢٠٠٨،ص١٧٠.

(٢) سيدات زحل ، لطفية الدليمي ، دار فضاءات للنشر والتوزيع ، الأردن ،٢٠٠٩.

(٣) سيدات زحل،ص٢٠.

(٤) ثارات شهرزاد، محسن الموسوي ،ص١٣٩.

(٥) ينظر الرواية في القرن العشرين جان أيف تاديه ،ترجمة وتقديم محمد خير البقاعي ،الهيئة المصرية للكتاب ط١ ،القاهرة ،١٩٩٨.

(٦) مقال بعنوان عبده خال في رواية نياح ،جريدة الرياض ،فاطمة عبد المحسن ،العدد١٢٩٧٠، الخميس ٢ ذو القعدة ١٤٢٤هه.

(٧) سيدات زحل ،٩٨.

(٨) محمد أدادا، (الشعري في الروائي(، **علامات**، ع١٢، ص١١٣.

(٩) سيدات زحل ٢٠١.

(١٠)المتخيل السردي ،عبد الله إبراهيم ، المركز الثقافي العربي ،١٩٩٠،ط١،ص١٨.

(١١)سيدات زحل تصدير.

(١٢)عتبات النص ، باسمة درمش : مجلة علامات : م ١٦ ج ٦١،ص٢٠٠٧،٥٨.

(١٣) فهد حسين ، المكان في الرواية البحرينية"دراسة نقدية"،فراديس للنشر و التوزيع، ٢٠٠٣، ص ٤٥.

(١٤) لويس كامل وآخرون: الشخصية وقياسها، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٥٩، ص:١٢-١٣.

(١٥) سيدات زحل ،ص٢٤.

(١٦)عجائبية النثر الحكائي ، أدب المعراج والمناقب ، د . لؤي علي خليل ، التكوين للطباعة والنشر ، دمشق ٢٠٠٧ط١ ص٩.

(١٧)التاريخ كما يكتبه الضحايا والمهمشين ،شجاع العاني.

(١٨)الرواية ص٥٣.

(١٩)الرواية ص٥٦.

(٢٠)الرواية ص٢٤.

(٢١)أنماط الرواية العربية الجديدة ،شكري عزيز الماضي ،عالم المعرفة ،٣٥٥،سبتمبر ٢٠٠٨.

(٢٢)التصوف الإسلامي في الأدب والأخلاق ،زكي مبارك ،دار الكتب والوثائق القومية ٢٠٠٩ ، ص١١.

(٢٣)الرواية ٢٥٥.

(٢٤)الرواية ص٢٩٠.

(٢٥)الصوفية في النص الروائي العربي بين التباس المفهوم وأهلية التحقق.

(٢٦)الرواية ١٨٨.

(٢٧)الرواية ٢٠١.

(٢٨)الرواية ٩٨.

(٢٩)الشعرية العربية 'أدونيس.دار الآداب.بيروت.ط ١١٩٨٥ص-٦١-٦٠.

(٣٠)اتجاهات الشعر المعاصر'إحسان عباس.دار الشروق-بيروت لبنان ط.٢.١٩٩٢.ص.١٦١

(٣١)السرد والاعتراف والهوية ،عبد الله إبراهيم ،المؤسسة العربية للدراسات والنشر ،ط١ ، ٢٠١١،ص٥.

(٣٢)الرواية ص٥٤.

(٣٣)الرواية ص٥٥.

(٣٤)بول ريكور الهوية والسرد ،حاتم الورفلي ،دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع ،٢٠٠٩.

(٣٥)المصدر نفسه،ص٨.

(٣٦)الرواية ص٧٧.

(٣٧)الرواية ص٢١٩

(٣٨)الهوية والسرد،ص٢٧.

(٣٩)الرواية ،ص٥١.

(٤٠)السرد النسوي ،عبد الله إبراهيم ،ط١، ٢٠١١، ص ٢٨.

(٤١)الرواية ،٥٧.

(٤٢)استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر.د علي عشري زايد . منشورات الشركة العامة والتوزيع والإعلان .طرابلس–ط ١ س .١٩٨٦ ص .١٠٥

(٤٣)الرواية ٢٠٥.

(٤٤)الرواية ٢٣٧.